أبرزها غار حوق في تربك وكهف ذجب في نوجد

كهوف سقطرى.. عجائب وغرائب مثيرة.. وأسرار لا تنتهي

الكثيرون يعرفون أن أرخبيل سقطرى يمتاز بجمال شواطئه وتنوع نباتاته وأشجاره التي لا توجد في أرخبيل سواه، بيد أن القليل والقليل جدا من الناس لا يعرفون أن العجائب لا تنتهي هي هذه الجزيرة الواقعة في وسط المحيط الهندي والبعيدة جدا عن شواطئ المكلا عاصمة محافظة حضرموت وهي نفسها المحافظة التي يتبعها إداريا أرخبيل سقطرى، ولعل أبرز العجائب في الأرخبيل يتمثل في الكهوف أو المغارات المدهشة التي توجد في أنحاء مختلفة على هذا الأرخبيل الفريد ولعل أشهر الكهوف التي تلفت أنظار سياح الجزيرة وتنال إعجابهم وتثير دهشتهم كهف أو »غار حوق« بالاضافة إلى »كهف ذجب« وهذان الكهفان يحويان بداخلهما غرائب وأشكالاً عجيبة جدا.. خلال زيارتنا إلى الأرخبيل أتيحت لنا فرصة زيارة غار حوق ولم نستطع زيارة كهف ذجب رغم أن الوصول إلى الثاني أسهل بكثير من الوصول إلى الأول وهذا ما سنوضحه في الأسطر التالية:

استطلاع/ عبدالباسط النوعة

وصلنا إلى قرية «تربك» إحدى قرى منطقة «حالة» الواقعة شرق الأرخبيل، انتهى بنا الطريق الإسفلتي وتوقفت بنا الحافلة لنواصل السير على الأقدام كي نصل إلى كهف «غار حوق» لم نكن نتصور أبدا أن يكون الطريق طويلا وشاقا إلى درجة كبيرة جدا، مررنا بهضاب وجبال عديدة وسط أشجار ونباتات كثيفة أكثر من ساعة ونحن نسير صعودا إلى الكهف وكلما اعتقدنا أننا على وشك الوصول لا نلبث أن نكتشف أن الطريق لا زال طويلا ولكن بمجرد وصولنا إلى هذا الكهف العجيب زال كل التعب وجف العرق، فقد وجدنا شيئاً ما كان في الحسبان .. أشكال ومجسمات بديعة تزين هذا الكهف على جوانب وفي أرضيته وعلى سطحه قطرات من المياه تجدها تخرج من بين تلك الأشكال، أصبنا بالذهول والدهشة فكلما تعمقنا في الكهوف اكتشفنا مزيدا من الأشكال والأشياء التي تزيد من ذهولنا، أردنا أن نتعمق أكثر وأكثر في هذا الكهف العجيب ولكن الظلام كان أحلك مما تصورنا فقد اعتقدنا أننا ممكن أن نقهر هذا الظلام بكشاف ذي بطاريات جديدة لكل واحد منا ولكن ضوء الكشاف كان يتلاشى شيئاً فشيئاً حتى لم يعد يظهر ضوؤه، كذلك الأوكسجين بدأ بالانهزام أمام عمق هذا الكهف.

وهنا يقول أحمد غيثان، من أبناء قرية تربك والذي عمل على إرشادنا إلى الطريق الصحيحة للوصول إلى هذا الكهف، لم يستطع أحد حتى اليوم الوصول إلى نهاية هذا الكهف فالكثيرون ممن يزورونه سواء سياحا محليين أو أجانب يعتقدون عند وصولهم إلى الكهف بأنهم قادرون على الوصول إلى نهايته ولكنهم يظلون يسيرون بداخله قرابة ساعة ثم ينهزمون أمام الظلام وقلة الأوكسجين ويعودون إلى نقطة البداية مندهشين ومتعجبين من المشاهد والأشياء التي وجدوها في هذا الكهف الذي لا نهاية له.

أشكال بديعة

وجدنا في الكهف إضافة إلى الأشكال البديعة والقطرات المتساقطة من المياه هنا وهناك نبعاً لمياه عذبة صالحة للشرب على مسافة سير داخل الكهف تقدر بنصف ساعة يمكن الوصول إليها.

هذا الكهف أصبح يشكل لسكان «قرية تربك» عائداً مالياً يساعدهم على تدبير شئون حياتهم حيث قاموا بتقسيم أنفسهم إلى دوريات كل مجموعة سياحية أو سائح يأتي لابد أن يرافقه أحد أبناء القرية وفق ترتيب منظم ويأخذ هذا المرشد مبلغ 4 آلاف ريال لإرشاد السياح على الطريق إلى الكهف، ومنعا من أن يتيهوا بين الهضاب والأشجار، ولا يتغير هذا المبلغ أبدا مهما كان عدد السياح وجنسياتهم، حيث يؤكد غيثان أنه يتناوب مع أحد عشر شخصا من أبناء القرية على مرافقة السياح إلى الكهف وكان آخر مرة رافق بها السياح قبل خمسة عشر يوما وكانوا سياحا من أوروبا بينما كان آخر مجموعة سياحية تقصد الكهف لزيارته قبل يومين ورافقهم صديقه الذي كان يسبقه في الجدول «المناوبة» وكانوا عبارة عن مجموعة من السياح المحليين القادمين من صنعاء ولكنهم لم يصلوا إلى الكهف وقطعوا نصف المسافة ولم يستطيعوا إكمال الطريق وعادوا أدراجهم بعد أن سيطر عليهم التعب والإرهاق وتأكدوا أنهم غير قادرين على إكمال الطريق ومع ذلك أعطوا المرشد السياحي المبلغ المخصص له دون نقصان.

وعي وحرص

رغم هذا التنظيم من قبل أهالي القرية وحرصهم على هذا الجدول منذ سنوات وكذا حرصهم على نظافة منطقتهم حيث عمد أحد الأصدقاء إلى رمي إحدى المعلبات البلاستيكية أثناء صعودنا إلى الكهف فما كان من المرشد غيثان إلا أن نهره بلطف وهم ليحضر العلبة إلا أن صديقنا كان أسرع للعلبة من غيثان، وهذا ينم عن وعي أبناء تلك المنطقة وحرصهم على نظافة بيئتهم ومنطقتهم وكذا الكهف، إلا أن أولئك المرشدين للأسف الشديد يفتقدون إلى التأهيل والتدريب فهم لا يجيدون أيا من اللغات الأجنبية بما فيها الانجليزية، فقط أدلة طريق صامتين للأجانب حسبما يقول غيثان..

وتحدث أيضا الأخ أحمد جمعان من أبناء منطقة «دبنة» وهي قريبة لقرية تربك وبالتالي قريب إلى الكهف ولكنه لم يزر الكهف مطلقا إلا مرة واحدة عندما قرر مرافقتنا في رحلتنا إلى الكهف، يقول جمعان: لم أزر الكهف من قبل بسبب المشقة الكبيرة في الوصول إليه أيضا الانشغال في متابعة الأمور الحياتية ومع هذا أعتبر نفسي مقصرا في التعرف على مقومات الجزيرة الساحرة فمن العيب أن يأتي الكثير من السياح ومن مختلف أنحاء العالم لزيارة الكهف وأنا لم أزره رغم أنه لا يبعد عن قريتي سوى بضعة كيلو مترات.

وأكد جمعان أن أهالي تربك مهتمون جداً بهذا الكهف فقد كان الطريق إليه غير معروف والكثير من الزوار كانوا يتيهون في الوصول إليه ناهيك عن الأضرار التي يتعرض لها الزوار بفعل الأشجار والأحجار ووعورة الطريق الأمر الذي جعل أصحاب القرية يتعاونون جميعا في عمل طريق للأقدام إلى الكهف تكون محددة وغير عشوائية كما كانت من قبل ولكن لا يزال الكهف بحاجة إلى أن تلتفت إليه الجهات المعنية، مثلا لماذا لا يتم شق طريق للسيارات إن لم يكن إليه على الأقل إلى مقربة منه وبالتالي سيجذب الكثير من الزوار فكم من سياح لا يستطيعون زيارته بسبب مشقة الوصول إليه لا سيما كبار السن، حتى صغار السن قد يعودون من منتصف الطريق، وتسأل أين الدولة التي تستغل مثل هذه المواقع السياحية الفريدة فالكهف والمناطق المجاورة له لا تجد مظهرا من المظاهر التي تدل على وجود رعاية من الدولة.

ظلام وخيط رفيع

عندما تتعمق بالكهف وينتشر الظلام تجد خطيا رفيعا تم ربطه على بعض الأشجار في الكهف وفيه علامات فسفورية تضيء في الظلام، هذا الخيط يمسك به الزائر ويمشي عليه قامت بوضعه هيئة حماية البيئة فرع سقطرى.

الأشكال والطبيعة الموجودة داخل هذا الكهف ذكرتنا بالمغارة اللبنانية التي خاضت المنافسة الدولية لاختيار عجائب دنيا سبع جديدة ولعلنا شاهدنا الكثير من الصور عن هذه المغارة المسماة «جعيتا» ولاحظنا مدى الاهتمام الكبير بها عبر الاضاءات المناسبة والأسلاك والطرق التي ينبغي على الزوار المشي بها والمطاعم والبوفيات الموجودة فيها وغيرها من الخدمات داخل هذه المغارة، هذا من خلال الصور، ولكن الزميل حسن الوريث من وكالة الأنباء اليمنية سبأ والذي كان معنا في هذه الزيارة يعرف مغارة جعيتا اللبنانية وزارها في العام 2010م.

كهف حوق الصعود إليه شاق ولا وسيلة متاحة سوى الأقدام

*** ينابيع عذبة في غار حوق وشلالات في كهف ذجب**

يقول عبدالوارث عن المغارتين جعيتا وغار حوق: فعلا مغارة جعيتا اللبنانية جميلة ومذهلة ولكن للأمانة ودون مبالغة غار حوق أفضل بكثير ولكن تفتقر إلى الخدمات الموجودة في مغارة جعيتا وإذا ما توفرت هذه الخدمات فلاشك أن كهف سقطرى سيكون أكثر إدهاشا كون الأشكال فيه بديعة ومتنوعة وكثيرة ومنتشرة في كافة أرجاء الكهف كما أن كهف حوق أوسع وأكبر وأطول من مغارة جعيتا، إن بلدنا لديه الكثير من المقومات فلم أكن أتوقع أبدا أن تكون اليمن تمتلك كهف كهذا بل وجزيرة مثل هذه الجزيرة الفاتنة التي للأسف الشديد أزورها للمرة الأولى وأعتبرها الجوهرة المنسية، الناس والجهات المعنية بل والدولة بشكل عام ناسون لها تماما لو تم استثمار هذه الجزيرة سياحيا بالتأكيد سوف تكفي اليمن ولكن للأسف الشديد نحن لم نصل بعد إلى إدراك ما تمتلكه بلادنا من مقومات قد لا توجد في كثير من بلدان العالم، كهذا الكهف العجيب القابع في أعالي الجبال لا توجد حتى طريق للوصول إليه ولا ترويج للتعريف به ويفتقر إلى أبسط الخدمات، شتان بين اهتمام الدولة في لبنان والدولة في اليمن؟؟!!

شلال في كهف ذجب

لا يعتبر كهف حوق هو الوحيد في سقطرى فهناك كهوف أخرى لم يتسن لنا زيارتها ولكننا عرفنا عنها أبرز تلك الكهوف كهف ذجب الواقع جنوب الجزيرة في منطقة «نوجد» التابعة إداريا لمديرية حديبو هذا الكهف حسبما يقول الأخ أحمد عيسى من أهالي «نوجد» لا يقل جمالا ودهشة عن كهف حوق سواءً من حيث الأشكال أو المحميات الموجودة فيها أو اتساعه وارتفاعه قد يكون كهف حوق أطول إلى الداخل بيد أن كهف ذجب يتميز بالشلالات التي تأتي مياهها من أعالي الجبال إلى بوابته طوال العام دون انقطاع أو توقف، كما أن الوصول إلى كهف ذجب أسهل بكثير منه إلى كهف حوق فبالإمكان أن تصل السيارة إليه بكل سهولة فالطريق إليه ميسرة على عكس حوق تماماً وهذا ما يجعل أكثر السياح يفضلون زيارة ذجب وأن كان البعض منهم يتأسس على عدم قدرتهم على زيارة حوق بسبب مشقة الوصول إليه.

ولهذا يظل كهف حوق بعجائبه الكثيرة وإسراره التي لا تنتهي وشموخه الذي يتوق إلى أن ينال حقه من الاهتمام شاهداً حياً على سوء إدارة الدولة لمواردها وعدم اهتمامها بالمقومات العظيمة التي حباها الله لبلاد اليمن السعيد، وما جزيرة سقطرى وكهف حوق إلا مثال بسيط لهذا الإهمال.

ضرب من الخيال

الكاتب السياحي عبدالرحمن مطهر من صحيفة الجمهورية والذي كان معنا في هذه الزيارة والذي حدثنا من داخل الكهف حيث قال: كل الأشياء من حولنا مذهلة جداً وكأنني أعيش حلما وليس حقيقة، خيالاً وليس واقعاً، فلم أشاهد طوال حياتي مثل هذا الكهف العجيب المليء بالغرابة والاندهاش، لم أكن أتوقع أن يوجد مثل هذا الكهف ليس في سقطرى أو اليمن بل على مستوى العالم، فقد شاهدنا أشباها لهذه الكهوف في برامج أفلام الكارتون للأطفال ومسلسلات الكارتون وألف ليلة وليلة، أشكال بديعة متنوعة ومختلفة تجاويف وصخور وأحجار بأشكال وخطوط وزخارف مذهلة جداً، كنت أتوقع أن آتي إلى كهف عادي قد يكون متسعاً أو عميقاً لكن بهذه الأشكال وهذا الاتساع وهذا العمق الذي لا يمكن الوصول إلى نهائية أمر لم يكن في الحسبان على الإطلاق، الذهول لن يفارقني والاندهاش لن يتركني وسأظل يوماً أتذكر هذا الكهف العجيب الذي لم نكن ندرك عنه شيئا ونحن كتّاب في المجال السياحي فكيف بالعامة أين الترويج أين التعريف السياحي لمثل هذه المناطق والمعالم المدهشة، الأمر الذي يجعلنا نجزم أن هناك الكثير من المعالم والمواقع التي لا تقل أهمية عن هذا الكهف موجودة في اليمن ولا نعلم عنها شيئاً.

وأكد مطهر بأن القائمين على السياحة أنفسهم قد لا يعرفون عن هذا الكهف وهم المعنيون بالترويج له وغيره من المواقع الفريدة سواء في الجزيرة أو سائر المدن والمحافظات اليمنية.

وأشار إلى أن هذا الكهف بحاجة إلى دولة بالمعنى الحقيقي بل ليس الكهف بل والجزيرة بشكل عام والتي تعتبر ثروة عظيمة بل أغنى جزيرة بالمواقع السياحية ومواقع الفرادة على مستوى العالم وأضاف: الكهف يحتاج إلى خدمات أين الدولة التي توفرها، مثلا تلفريك قد يكون أنسب استثمار وطريقة مناسبة للوصول إلى الكهف ولكن من يجيب؟؟!!

سياح كثر ممن التقيناهم في الجزيرة تحدثوا بكل إعجاب عن الكهوف المدهشة ذات الأشكال البديعة لا سيما في حوق وذجب، وسنتناول أحاديثهم بكل إسهاب في الموضوع المخصص لآراء السياح وهم كثر وتحدثوا عن الجزيرة بشكل عام.
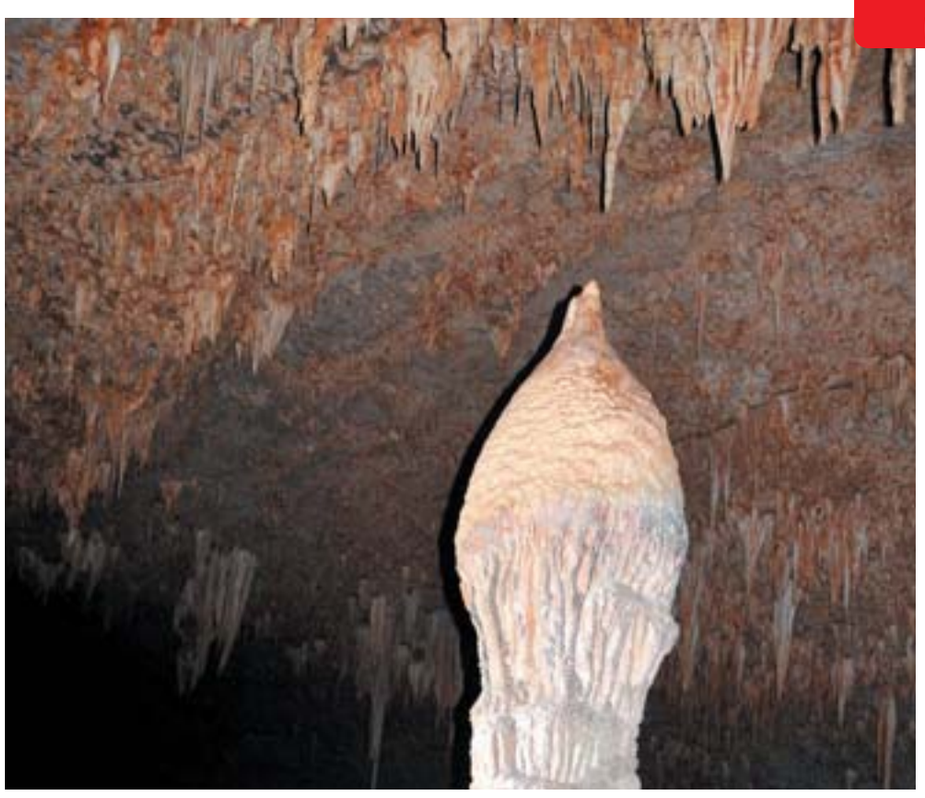
تصوير / فؤاد الحرازي